



على ذوقك

ا سفير بيروت. كثر استحقوا هذا اللقب اللا-ديپلوماسي، روائيون، مؤرخون، علماء اجتماع، هواة تجميع، اخذوا على عاتقهم في السنوات الكالحة تظهير ما كانت الحرب تمحوه وما جاءت مرحلة ما بعد الحرب تغرقه تحت وطأة الفرز الاقتصادي. بيروت العتيقة، الحجر الرملي، السور المنسي وبواباته، الساحات، القناطر، الاسواق وذكرياتنا وناسها، الآثار الرومانية وآثار ما قبل الآثار، ماريا وبائعات الهوى، الفنادق والجواسيس... جاد ثابت كان واحداً من هؤلاء السفراء المتطوعين. شارك بحماسة في السجال حول مشروع اعادة اعمار الوسط التجاري، لكنه بقي بعيداً عن التعصّب فقيل في اكثر من مناسبة التعامل مع "سوليدير" رغم اعتراضاته على توجهها الاصيلي.

في الاسابيع المقبلة سيظهر جاد ثابت سفيراً من الدرجة الاولى لبيروت. تحديداً لبيروت الحديثة. فقد اشرف على اصدارين ينزلان الى الاسواق الباريسية ومن ثم اللبنانية خلال شهري ايلول وتشرين الاول، ويتزامن مع الاهتمام الذي سيثيره انعقاد قمة الفرنكوفونية بين ميناء الخشب وفندق "فينيسيا". الاصدار المرتقب بدايةً هو عدد مجلة "اوثرمان" التي يبدو انها نجحت اخيراً، بكونها الى ثابت، في انفاذ مشروع يعود الى اواسط الثمانينات. كانت المجلة الباريسية التي تخصصت في الاعداد الخاصة قد اطلقت سلسلة تتناول فيها كبريات المدن من زاوية الثقافة المعيشة، وليس فقط التاريخ والعمران.

وقد بدأ الحديث يتواتر عن التهيئة لعمل عن بيروت بعد صدور عدد القاهرة عام ١٩٨٥، وخصوصاً ان بعض اللبنانيين شاركوا فيه فكانوا على تماس مع ادارة المجلة "يلوبون" (من فعل "لوب" اشتقاقاً من كلمة "لوبي") من اجل عاصمتهم المكمّمة آنذاك. لكن الدولاب دار، وتبدلت ادارة المجلة ومعها مفهوم السلسلة، وعندما استعادت زخمها، كانت الفرصة لدمشق في بداية التسعينات، ولم يكن ثابت غريباً عن هذا المشروع ايضاً، في انتظار ان يحين وقت بيروت.

ثقافة بيروت الحية كما رأى اليها المشاركون، وجلهم لبنانيون، في عدد "اوثرمان"، قد تصدم بعض "حراس الهيكل" الذين ربما يفضلون البقاء على الصورة الزاهية لعصر ذهبي يراد له احياناً ان يختصر وجه المدينة. فقد اختار جاد ثابت، مع اضاءة مراحل ماضية وما نتج منها من تشكلات صورية، اعطاء صدى عن بيروت معاصرة تحاول استيلاء نفسها من تجارب الحرب وما قبلها وما بعدها. ومن دون الكشف سلفاً عن محتوى العدد، يمكن القول ان مثل هذه المقاربة توحى ان موضوع البحث عاد يستحق البحث لما في ذاته وليس فقط لما فيه من ظلال الذاكرة. وان بيروت التسعينات والالفين قابلة لأن تستوقف الخيال، ولو بقيت مأزومة لا يراد لها عصر ذهبي جديد.

الاصدار الثاني المرتقب لجاد ثابت يخرج ايضاً من مألوف بيروت. فمراجعة تاريخ العمارة البيروتية التي سيقدمها ثابت، ضمن سلسلة "بروفيل مدينة" التي تصدر عن مجلة المعهد المعماري الفرنسي، تبارح التبسيط الجمالي الذي توافقت عليه "رياضة الحنين" ابان الحرب. واذا كان لا بد من حنين، فحنين ثابت يتجاوز السجال المكرور حول القديم والحديث، الباطون والحجر الرملي، القنطرة والواجهة الزجاجية، ويتخطى مشروع اعمار الوسط، بما محاه وما رمّمه. ولعل في هذا التخطي دليلاً آخر على ان بيروت خرجت حتى من مرحلة ما بعد الحرب، حين كان النقاش



المعماري والمديني محصوراً بـ"سوليدير" وهاجس الترميم، صادقاً كان ام تبريرياً. واسوأ التبريرات عند ثابت ما يؤسس لنزعة من التقليد تتجلى في مبان جديدة مبنية على الطراز القديم او في ما يسميه "الطراز الوطني" لعمارات الاثرياء الجدد حيث كل على ذوقه، والذوق مجرد تراكم للادعاءات. في المقابل، يسعى ثابت الى عقلنة تاريخ الحداثة (ان جاز اجتماع نقيضين في هذا التعبير)، خلال استعادة محاولات معماريي القرن العشرين، واولهم عنده، بالاضافة الى والده انطون ثابت، الفرنسي ميشال ايكوشار. لكنه لا يتوقف فقط عند الكبار، بل يعيد الاعتبار الى عدد من معماريي الستينات والسبعينات، ويرصد في الجيل الجديد اسماء واعدة، رغم انحسار الطلب. لا حصرية لنمط معين عند ثابت ولا تصفية حسابات خاصة. فبخلاف بعض المبدعين الذين يقدمون انفسهم وحيدين عندما يفتح لهم الغرب ابوابه، يرسم، مع بروفيل بيروت، صورة حركة معمارية متعددة الاسماء والمشارب والجنسيات باتت من اهم مكونات المدينة، وذاكرتها المرممة. والاهم ان لا حصرية لبيروت عنده. مسكون بها لا يسكنها. هو هكذا في حياته الخاصة، يقيم بين باريس وبيروت. في باريس، يعمل في اعادة تأهيل احياء هرمت لحساب الدوائر الحكومية او البلدية، وفي لبنان ينكب على المخطط التوجيهي لمنطقة ريفية او على مشروع اسواق طرابلس. وكذلك في الدراسة المعمارية، ينظر الى بيروت فينتبه الى ما وراءها، ويحافظ على مسافة تسمح برؤية مدينة كانت دوماً تؤقلم الابداع اكثر مما تنتجها، تخضع باستمرار لمؤثرات الزمان اكثر مما تستجيب متطلبات المكان.

II العمارة البرازيلية الحديثة كانت في الستينات مصدر إلهام يرصده جاد ثابت للمعماريين اللبنانيين، وتكلل هذا التقارب بتكليف اوسكار نيبيير، مصمم برازيليا، رسم معرض طرابلس الدولي. وجاء البناء الذي يحمل اليوم اسم رشيد كرامي معلماً من معالم العمارة العالمية في القرن العشرين. لكن قلة من اللبنانيين يعرفون ان الفضل فيه يعود الى نيبيير. والارجح ان السواد الاعظم منهم لن يذكر العمارة لو سئل عن مآثر البرازيل، ولا طبعاً روايات امادو المتوفي اخيراً، رغم حضور اللبنانيين المهاجرين في مناخاتها. ربما نسوا ايضا الكرنفال والسامبا. فالبرازيل عندنا فوتبول وقهوة. فوتبول البرازيل في قهقري، وهذا ما يؤسف كل عاقل، وحتى الخصوم. لكن القهوة في طور الهجوم.

ألأن الغلة كانت وفيرة اكثر مما يجب في العام الماضي؟ ألأن الصيف موسم السمير؟ في اي حال القهوة البرازيلية اجتاحت الشاشات والاذاعات باعلاناتها، وها هي تسجل اصابة جميلة في مرمى الوعي الاستهلاكي عبر شريط في غاية الذكاء يستعيد طقوس العزاء ليسوق لذة تعيد الاموات الى الحياة. غريبة، قصتنا مع البرازيل وقهوته. في فرنسا مثلاً، تجد الاعلان لماركة قهوة يركز دوماً على انها من "العربيكا الصافية". وتلك احدي المناسبات النادرة التي يظهر فيها شيء مشتق من العروبة في سياق ايجابي.

مع العلم ان "العربيكا" لم تعد ترمز منذ قرون الى المصدر الجغرافي، بل الى نوع الشتلة، وقد تكون زرعت في جزيرة مارتينيك او كولومبيا او... البرازيل. اما هنا، فلا قهوة تستطاب ان لم يقل انها آتية من البرازيل، رغم محاولة احد المستوردين ان يسوق في مقاهيه المستحدثة بُناً من جميع الاصقاع. غريبة قصتنا، لكنها قديمة. فقهوة الموكا اليمينية اختفت تقريباً من الاسواق الاوروبية في نهاية القرن الثامن عشر، وظلت تتراجع في الديار العثمانية نفسها امام قهوة الكاربيي، على ما يذكره المؤرخ الكبير البرت حوراني. وفي بيروت تحديداً، يروي قنصل فرنسا هنري غيز في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ان لا وجود للموكا، وان الناس يفضلون القهوة البرازيلية. "على ذوقك"؟

III رياض كامل يعرف انه لن يعمل دائماً على ذوقه. عاد الى بيروت الشهر الماضي وفي نيته البقاء. مبادرة نادرة تستحق في ذاتها التنويه في موسم الهجرة المستعادة. شاب في الثلاثين، من رواد



الفضاء الليلي في بيروت ما بعد الحرب، عاد بعد ثلاث سنوات في باريس ليمارس الهندسة المعمارية، وفي امتعته عبوة، وداخل العبوة ما يقدر على نسف برج. العبوة فيها المشروع الذي نال على اساسه دبلوم الهندسة. شريط طوله بضعة امتار يؤرخ فيه لبرج المر ويعرض امكان تحويله شيئاً نافعاً. فبرج المر لم ينفذ يوماً. باغتته الحرب وهو على العظم. وحتى في الحرب لم يستخدم (لحسن الحظ) بكل امكاناته العسكرية، حسب ما يقول رياض كامل بنتيجة استقصاءاته الميدانية. اما في مرحلة الاعمار، فقد تبين بسرعة ان لا فائدة من المحافظة عليه كما هو. المساحة الداخلية غير المدروسة، علو السقف المنخفض بسبب خطأ في الحساب، المصاعد التي لا تفي حاجات المكاتب... للتذكير، كان احد مشاريع "سوليدير" يقوم على توسيع البرج بجعل المبنى الحالي قفصاً للدرج والمصاعد! هذا اللاشيء الذي بقي مع ذلك يلقي بظله على المدينة، يقترح كامل ان يبقى لا شيء، ولكن لا شيء نافعاً هذه المرة. يفرغه من الداخل وهو اصلاً لا يصلح، فيجعل فيه باراً يتنقل صعوداً ونزولاً بين الطوابق. والكلفة؟ هنا فكرة العصر: تحوّل واجهات البرج الاربع شاشات عملاقة تشع منها الصور الدعائية، بالاضافة الى صور من الذاكرة. منارة تنتصب في قلب بيروت بدل برج المر، درس في الذاكرة وآخر في النسيان، ورسالة في مجّانية المستقبل.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000722	
Media	(Support)	HC
Title		على ذوقك
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/٨/٢٧ 27/8/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	جاد.تابت - ألبرت.حوراني - هنري.غيز - ميشال.ايكوشار - رشيد.كرامي - اوسكار.نيميير - انطوان.تابت
	Locations	بيروت - دمشق - برازيل - باريس
	Dates	١٩٨٥
	Themes	بيروت - سوليدير - حرب.لبنان - بيروت.حديثه - قمة.فرنكوفونية - مجلة.اوترمان
Subject		